المكتبة الخضراء للأطفال
٢٥

الصَيّاد الماهرُ



بقلم: عادل الغضبان

الطبعة الثالثة عشرة



كانَ لِرَجُلٍ فِى الزَّمَنِ الْبَعِيدِ أَبْنَاءٌ ثَلاثَة ؛ وَكانَ كُلٌّ مِنَ الابْنِ الأَكْبَرِ وَالابْنِ الأَوْسَط يَقْضِى وَقْتَهُ فِى شَحْذِ سَيفِهِ ، وَيَقُول : إِنِّى بِهٰذَا السِّلاحِ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْتَصِرَ عَلَى جَمِيعِ أَعْدَائِى . أَمَّا الابْنُ الأَصْغَرُ فَكانَ مَشْغُولاً بِبَرْىِ السِّهَام ، حَتَّى يَشُدَّهَا إِلَى قَوْسِهِ ، وَيُصِيبَ بِهَا أَبْعَدَ الأَهْدَاف .

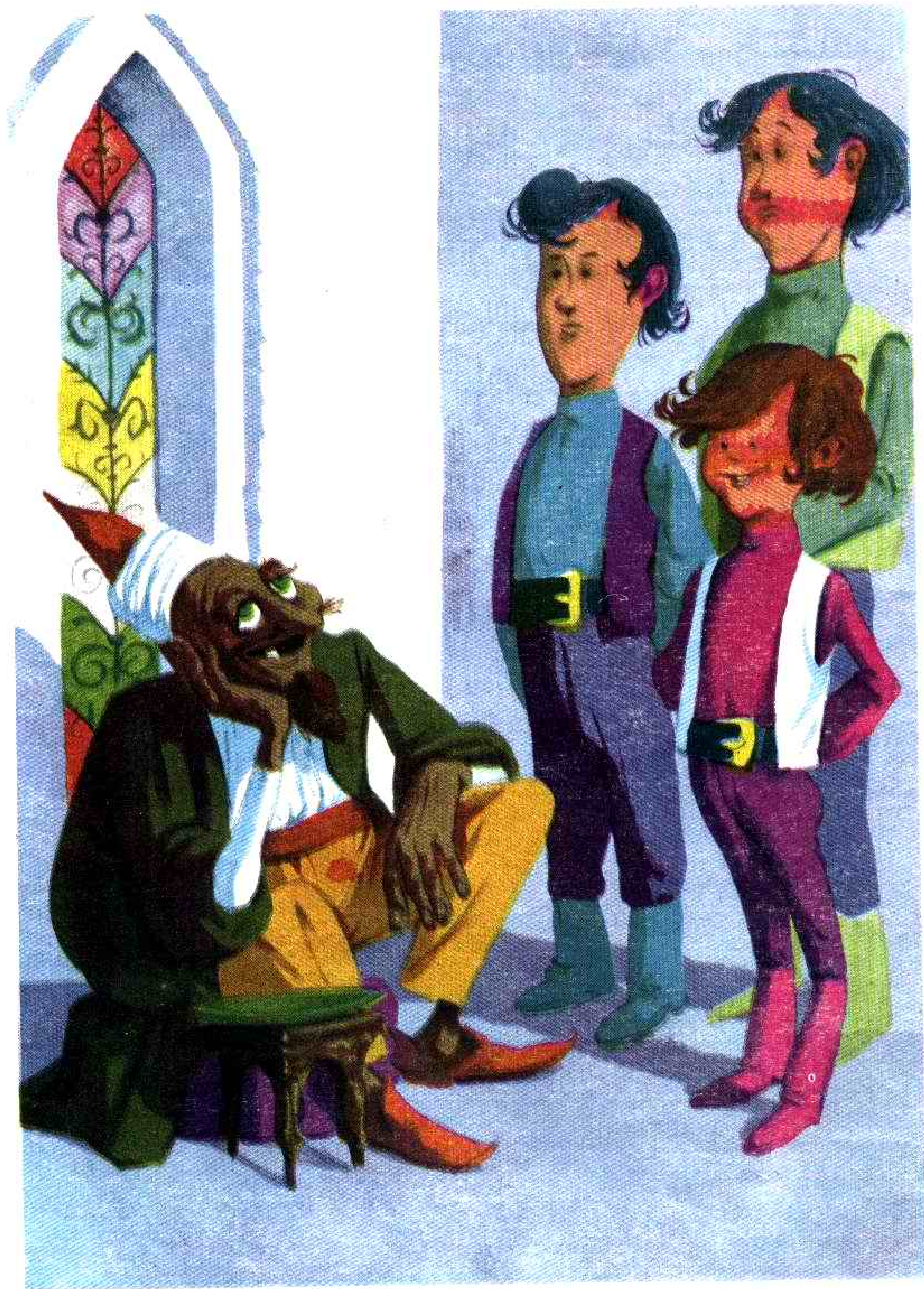
وَفِى لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِى ، رَأَى الابْنُ الأَصْغَرُ فِى مَنَامِه ، شَيْخًا قَصِيرَ الْقَامَة ، يَقْتَرِبُ مِنْهُ وَيُوقِظُه ، وَيَضَعُ فِى كَفِّهِ وَرَقَةً فِيهَا خُطُوطٌ رَكِبَ بَعْضُهَا بَعْضَهَا الآخَر ، وَيَقُولُ لَه :

— « إِلَيْكَ هٰذِهِ الْوَرَقَة ، فَهِىَ تُؤَكِّدُ لَكَ أَنَّكَ سَتَذْهَبُ بَعِيدًا فِى هٰذَا الْعَالَم ، إِذَا كُنْتَ لاَ تَخَافُ مِنْ شَىْء وَلاَ تَهَابُ أَحَدًا » .

وَطَلَعَ الصُّبْح ، وَتَبَدَّدَ الْحُلْم ، وَكَانَتِ الْوَرَقَةُ لاَ تَزَالُ شُغْلَ الابْنِ الأَصْغَر ، وَلاَ يَعْرِفُ كَيْفَ يُفَسِّرُهَا . فَذَهَبَ يَلْقَى أَبَاهُ وَيَسْتَأْذِنُهُ فِى رِحْلَةٍ حَوْلَ الْعَالَم .

فَلَمَّا طَارَ النَّبَأُ إِلَى أَخَوَيْه ، جَاءَا إِلَى أَبِيهِمَا ، وَقَدْ تَقَلَّدَ كُلٌّ مِنْهُمَا سَيْفَه ، وَقَالاَ لَه :

— « اِسْمَحْ لَنَا يَا وَالِدَنَا الْكَرِيم ! أَنْ نَصْحَبَ أَخَانَا فِى



رِحلَتَهِ حوْلَ الْعَالَم ، فَلَنْ نَـكُونَ أَقَلَّ مَهارَةً مِمَّنْ يَمْلِكُ الْقَوْسَ وَالسِّهَام » .

وَكَانَ الْوَالِدُ لاَ يُرِيدُ أَنْ يدَعَهُمْ يرْحَلُونَ ، ولاَ يَودُّ فِى



الْوَقْتِ نَفْسِهِ ، أَنْ يَجْعَلَهُمْ يَعْدِلُونَ عَنْ رَغْبَتِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ بَعْدَ تَفْكِيرٍ قَلِيل :

— « اِفْعَلُوا يَا أَبْنَائِي ، مَا تَرَوْنَ أَنَّهُ الصَّوَاب » .

ثُمَّ أَعَدَّ الْوَالِدُ لَهُمْ مُعَدَّاتِ الرِّحْلَة ، فَسَارَ الْأَخَوَانِ الْأَكْبَرُ وَالْأَوْسَط ، وَقَدْ اعْتَمَدَا عَلَى سَيْفَيْهِمَا ، فِي حِينَ اعْتَمَدَ الْأَخُ الْأَصْغَرُ عَلَى قَوْسِهِ وَسِهَامِهِ . . . وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْأُمِّ كَيْفَ وَدَّعَتْ أَبْنَاءَهَا ، وَالدُّمُوعُ تَسِيلُ عَلَى خَدَّيْهَا .

وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ شَبَابَنَا الثَّلَاثَة غَادَرُوا مَنْزِلَ الْوَالِدَيْن ، وَالْحُزْنُ يَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ ، وَلَـٰكِنَّهُمْ مَا إِنْ ابْتَعَدُوا قَلِيلاً حَتَّى عَمَّ السُّرُورُ صُدُورَهُم .

وَاصَلَ الْمُسَافِرُونَ الثَّلَاثَةُ مَسِيرَهُمْ ، فَوَصَلُوا إِلَى فُنْدُقٍ بِمَمْلَكَةِ الْمَلِك ، وَكَانَ عَلَى مُدِيرِ الْفُنْدُق ، بِأَمْرِ الْمَلِك ،

أَنْ يَسْتَضِيفَ جَمِيعَ الْمُسَافِرِينَ ، فَدَخَلُوهُ وَلَقُوا مِنْ عِنَايَةِ الْقَائِمِينَ عَلَى الْفُنْدُق، ما أَطْلَقَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالشُّكْرِ وَالثَّنَاء .

وَتَابَعَ الإِخْوَةُ الثَّلاثَةُ رِحْلَتَهُمْ مُنْشَرِحِى الصُّدُور ، حَتَّى بَلَغُوا غَابَةً مِنَ الْغَابات ، كَثِيفَةَ الشَّجَرِ وَالْغُصُون ، لاَ عُصْفُورَ يَطِيرُ فِيهَا، وَلاَ يَأْوِى إِلَيْهَا أَىُّ حَيَوَانٍ كان .

وَمَضَوْا يَسِيرُونَ فِيهَا وَهِىَ لاَ تَنْتَهِى ، إِلَى أَنْ هَبَطَ اللَّيْل ، فَاسْتَقَرَّ رَأْيُهُمْ أَنْ يَقْضُوا اللَّيْلَ فِيهَا ، عَلَى أَىِّ



وَجْهٍ يَكُون ، فَتفرَّقُوا فِي الْغَابَةِ يَجْمَعُونَ كَمِّيَّةً كَبِيرَةً مِنَ الْحَطَبِ ، ثُمَّ اجْتَمعُوا فِي مَكانٍ مِنْهَا ، وَأَشْعَلُوا النَّار ، وَعقدُوا فِيمَا بَينَهُمْ الاتِّفَاقَ الآتِي :

« عَلَى مَنْ يَقْضِي اللَّيْلَ سَهْرَانَ حَارِسًا ، أَلاَّ يُوقِظَ أَخَوَيْهِ مَهْمَا حَدَث ، وَأَلاَّ يَقُصَّ عَلَيْهِمَا ، حِينَ يَسْتَيقْظَان ، أَحْدَاثَ اللَّيْل - وَإِنْ تَعرَّضَتْ حيَاتُهُ لِلْخَطَر - وَعَلَيْهِ كَذٰلِكَ أَلاَّ يَتْرُكَ النَّارَ تَخْمُد ، وَإِلاَّ فَقَدَ نَصِيبَهُ مِنْ مَكاسِبِ الصَّيْد » .



اتَّفَقَ الْإِخْوَةُ عَلَى هٰذَا وَنَفَّذُوه ، فَحَطَّمُوا الْحَطَبَ الَّذِي جَمَعُوه ، وَأَشْعَلُوا فِيهِ النَّار ، وَارْتَفَعَتْ أَلْسِنَةُ اللَّهَبِ بَعْدَ قَلِيلٍ إِلَى كَبِدِ السَّمَاء ، حَارَّةً مُضِيئَة ، فَافْتَرَشَ الْأَصْغَرَانِ الْأَرْضَ وَنَامَا ، وَجَلَسَ الْأَخُ الْأَكْبَرُ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ النَّار ، وَسَيْفُهُ يَتَدَلَّى إِلَى جَانِبِه ، وَكَانَ بَيْنَ حِينٍ وَحِين ، يَسْتَلْقِي إِلَى الْأَرْض ، وَيُغْمِضُ جَفْنَيْهِ قَلِيلًا مِنْ شِدَّةِ النُّعَاس ، وَلٰكِنَّهُ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْهَضَ وَاقِفًا ، وَيُتِمَّ حِرَاسَتَهُ يَقْظَانَ نَائِمًا .

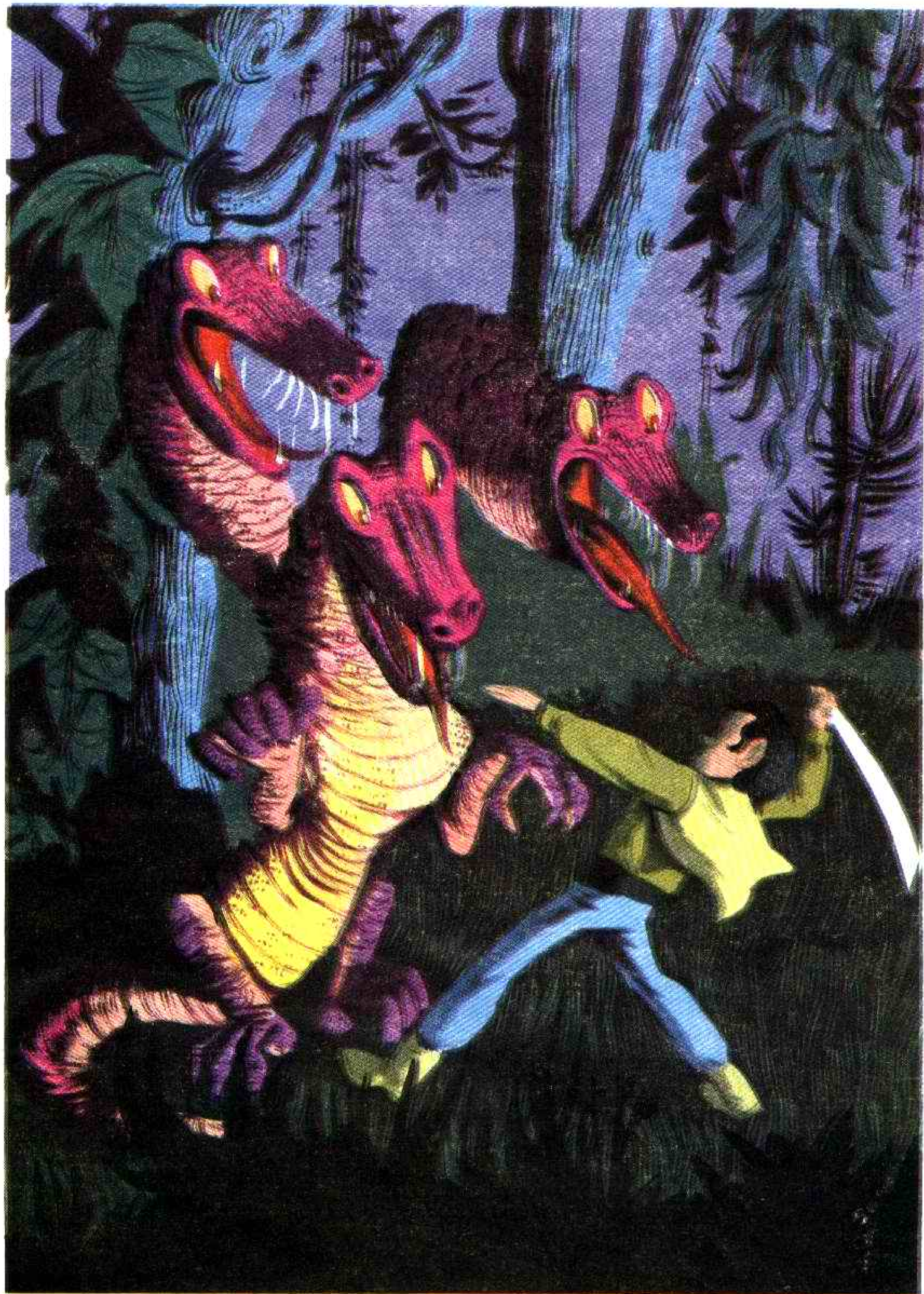
وَبَعْدَ دَقَائِقَ قَلِيلَةٍ مِنَ انْتِشَارِ اللَّيْل ، سَمِعَ هٰذَا الْأَخُ الْأَكْبَر ، حَفِيفَ أَشْجَارٍ فِي الْغَابَة ، أَعْقَبَهُ نَعِيقُ بُومَة ، فَطَارَ النُّعَاسُ مِنْ عَيْنَيْه ، وَبَقِيَ يَتَرَقَّبُ شَيْئًا غَيْرَ مَأْلُوف ، ثُمَّ تَبِعَ ذٰلِكَ كُلَّهُ صَوْتُ شَجَرَةٍ تَتَحَطَّم ، فَالْتَفَتَ إِلَى الْوَرَاء ، فَرَأَى تِنِّينًا بِرُءُوسٍ ثَلَاثَة ، مُقْبِلًا نَحْوَه ، وَالْأَشْجَارُ

تَتَقَصَّفُ تَحْتَ زَحْفِه ، فَاسْتَوْلَى عَلَى الْأَخِ السَّاهِرِ خَوْفٌ شَدِيد ، وَكَادَ يُوقِظُ أَخَوَيْه ، غَيْرَ أَنَّهُ تَذَكَّرَ الاتِّفَاقَ الْمَعْقُودَ بَيْنَهُمْ ، وَقَالَ فِي نَفْسِه : « لَوْ صِحْتُ بِهِمَا وَأَيْقَظْتُهُمَا ، فَقَدْتُ نَصِيبِي مِنَ الْمَكَاسِب ، وَلَوْ سَكَتُّ مِتْنَا نَحْنُ الثَّلَاثَة ، وَلٰكِنْ لَا ، فَلَنْ أُقْهَرَ فِي يُسْرٍ وَسُهُولَة » .



وَعِنْدَمَا بَدَأَ التِّـنِّينُ يَنْفُخُ فِى النَّارِ قَصْدَ إِطْـفَائِهَا ، جَرَّدَ الشَّابُّ سَيْفَه ، وَأَهْوَى بِهِ عَلَى التِّـنِّينِ ، فَقَطَعَ أَوَّلَ رَأْسٍ لَه ، وَثَنَّى بِضَرْبَةٍ أُخْرَى مِنْ سَيْفِه ، فَقَطَعَ الرَّأْسَ الثَّانِى ، وَعَاجَلَه بِضَرْبَةٍ ثَالِثَة ، فَقَطَعَ الرَّأْسَ الثَّالِث ، ثُمَّ جَرَّ جُثَّةَ التِّـنِّين ، وَأَلْقَاهَا فِى بَعْضِ الْحُفَر ، وَانْتَزَعَ أَلْسِنَةَ الرُّؤُوسِ الثَّلاثَة ، وَخَبَّأَهَا فِى جَيْبِه ، وَرَكَضَ إِلَى النَّارِ الَّتِى كَادَتْ تَخْمُد ، فَغَذَّاهَا بِالْحَطَبِ فَالْتَهَب ، وَكَانَ اللَّيْلُ يَكَادُ يَنْقَشِـع ، وَالْفَجْرُ يَكَادُ يَطْلُع ، فَصَحَا أَخَوَاه ، وَلَمْ يَسْأَلَاهُ كَيْفَ قَضَى لَيْلَتَه ؟ وَلَا هُوَ سَأَلَهُمَا هَلْ نَامَا نَوْمًا هَادِئًا مُرِيحًا ؟ . . . ذٰلِكَ كَانَ مِنْ شُرُوطِ الاِتِّفَاقِ بَيْنَهُم .

وَاسْتَأْنَفَ الْإِخْوَةُ الثَّلاثَةُ سَيْرَهُمْ فِى الْغَابَة ، وَكَانُوا كُلَّمَا قَطَعُوا شَوْطًا مِنْهَا ، بَدَتْ لَهُمْ غَابَةٌ كَثِيفَةٌ لَا تَنْتَهِى حَتَّى أَقْبَلَ اللَّيْلُ عَلَيْهِم ، فَصَنَعُوا مَا صَنَعُوهُ فِى اللَّيْلَة



الْمَاضِيَة ، وَجَدَّدُوا العَهْدَ فِيمَا بَيْنَهُم ، وَلَمَّا أَشْعَلُوا النَّار ، تَمَدَّدَ الْأَخَوَانِ الأَكْبَرُ وَالأَصْغَرُ عَلَى الْأَرْض ، وقَدْ غَلَبَهُمَا النُّعَاسُ فنَامَا ، وبَقِيَ الأَخُ الأوسَطُ جَالِسًا قَرِيبًا مِنَ النَّار ، وَسَيْفُهُ إِلَى جَانِبِه ، وَكَانَ يَرْقُبُ الْحَوَادِث ، وَيَسْهَرُ عَلَى أَخَوَيْه ، وَكَانَ بَيْنَ حِينٍ وَحِين ، يَسْتَلْقِي إِلَى الْأَرْض ، وَيُغْمِضُ جَفْنَيْهِ قَلِيلاً مِنْ شِدَّةِ النُّعَاس ، وَلَكِنَّهُ لاَ يَلْبَثُ أَنْ يَنْهَضَ وَاقِفًا ، وَيُتِمَّ حِرَاسَتَهُ يَقْظَانَ نَائِماً .

وَبَعدَ دَقَائِقَ مَعْدُودَاتٍ سَمِعَ حَفِيفَ أَشْجَارٍ فِي الْغَابَة ، أَعْقَبَهُ نَعِيقُ بُومَة ، فَطَارَ النُّعَاسُ مِنْ عَيْنَيْه ، وَبَقِيَ يَتَرَقَّبُ شَيْئًا غَيْرَ مَأْلُوف ، ثُمَّ تَبِعَ ذَلِكَ كُلَّهُ صَوْتُ شَجَرَةٍ تَتَحَطَّم ؛ فَالْتَفَتَ إِلَى الْوَرَاء ، فَرَأَى تِنِّينًا بِرُؤُوسٍ سِتَّةٍ مُقْبِلاً نَحْوَه ، وَالْأَشْجَارُ تَتَقَصَّفُ تَحْتَ زَحْفِه ، فَاسْتَوْلَى عَلَى الأَخِ السَّاهِرِ خَوْفٌ شَدِيد ، وَكَادَ يُوقِظُ أَخَوَيْه ، غَيْرَ أَنَّهُ تَذَكَّرَ

الاتِّفَاقَ الْمَعْقُودَ بَيْنَهُم ، وَقَالَ فِي نَفْسِه : « لَوْ صِحْتُ بِهِمَا وَأَيْقَظْتُهُمَا ، فَقَدْتُ نَصِيبِي مِنَ الْمَكاسِب ، وَلَوْ سَكَتَّ مِتْنَا نَحْنُ الثَّلاثَة ، وَلَـٰكِنْ لاَ ، فَلَنْ أُقْهَرَ فِي يُسْرٍ وَسُهُولَة ! » .

وَعِنْدَمَا بَدَأَ التِّنِّينُ يَنفُخُ فِي النَّارِ قَصْدَ إِطْفَائِها ، جَرَّدَ الشَّابُّ سَيْفَه ، وَأَهْوَى بِهِ عَلَى التِّنِّين ، فَقَطَعَ رَأْسَيْنِ مِنْ رُؤُوسِه ، وَثَنَّى بِضَرْبَةٍ أُخْرَى مِنْ سَيْفِه ، فَقَطَعَ رَأْسَيْنِ آخَرَيْن ، وَعَاجَلَهُ بِضَرْبَةٍ ثَالِثَة ، فَقَطَعَ الرَّأْسَيْنِ الْبَاقِيَيْن ، ثُمَّ جَرَّ جُثَّةَ التِّنِّينِ وَأَلْقَاهَا فِي بَعْضِ الْحُفَر ، وَانْتَزَعَ أَلْسِنَةَ الرُّؤُوسِ السِّتَّة وَخَبَّأَهَا فِي جَيْبِه ، وَرَكَضَ إِلَى النَّارِ الَّتِي كَادَتْ تَخْمُد ، فَغَزَّاهَا بِالْحَطَبِ فَالْتَهَب ، وَكَانَ اللَّيْلُ يَكادُ يَنقَشِع ، وَالْفَجْرُ يَكادُ يَطْلُع ، فَصَحَا أَخَوَاهُ وَلَمْ يَسْأَلاَهُ كَيْفَ قَضَى لَيْلَتَه ؟ وَلاَ هُوَ سَأَلَهُمَا هَلْ نَامَا نَوْمًا هَادِئًا

مُرِيحًا ؟.. ذٰلِكَ كَانَ مِنْ شُرُوطِ الاتِّفَاقِ بَيْنَهُمْ.

وَمَضَى الإِخْوَةُ الثَّلاثَةُ، يَمْشُونَ طَوِيلاً طَوِيلاً جِدًّا، وَالْغَابَةُ الْمَسْحُورَةُ لا نِهَايَةَ لَهَا، فَفَاجَأَهُمُ اللَّيْلُ فِى غَابَةٍ أَشَدَّ كَثَافَةً مِنْ كُلِّ غَابَةٍ اجْتَازُوهَا، فَجَدَّدُوا الْعَهْدَ بَيْنَهُمْ وَأَوْقَدُوا النَّارَ.

فَبَيْنَمَا كَانَ اللَّهَبُ يَرْتَفِعُ فِى الْفَضَاءِ، اِضْطَجَعَ الأَخَوَانِ الْكَبِيرَانِ عَلَى الأَرْضِ فَنَامَا، وَسَهِرَ فِى الْحِرَاسَةِ الأَخُ الأَصْغَرُ، وَقَوْسُهُ إِلَى جَانِبِهِ، وَكَانَ بَيْنَ حِينٍ وَحِينٍ يَسْتَلْقِى إِلَى الأَرْضِ، وَيُغْمِضُ جَفْنَيْهِ قَلِيلًا مِنْ شِدَّةِ النُّعَاسِ، وَلٰكِنَّهُ لا يَلْبَثُ أَنْ يَنْهَضَ وَاقِفًا، وَيُتِمَّ حِرَاسَتَهُ يَقْظَانَ نَائِمًا.

وَبَعْدَ قَلِيلٍ، سَمِعَ هٰذَا الأَخُ الأَصْغَرُ حَفِيفَ أَشْجَارٍ فِى الْغَابَةِ، أَعْقَبَهُ نَعِيقُ بُومَةٍ، فَطَارَ النُّعَاسُ مِنْ عَيْنَيْهِ،



وَبَقِيَ يَتَرَقَّبُ شَيْئًا غَيْرَ مَأْلُوف، ثُمَّ تَبِعَ ذٰلِكَ كُلَّهُ صَوْت شَجَرَةٍ تَتَحَطَّم، فَالْتَفَتَ إِلَى الْوَرَاء، فَرَأَى تِنِّينًا بِاثْنَيْ عَشَرَ رَأْسًا مُقْبِلًا نَحْوَه، وَالْأَشْجَارُ تَتَقَصَّفُ تَحْتَ زَحْفِه. فَلَمْ يَنْتَظِرِ الشَّابُّ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْه التِّنِّين، بَلْ عَمَدَ فِي الْحَالِ إِلَى قَوْسِه، وَسَدَّدَ مِنْهَا السِّهَامَ إِلَى رُؤُوسِ التِّنِّين، فَتَسَاقَطَتْ سَهْمًا سَهْمًا عَلَيْهَا، وَقَتَلَتْ صَاحِبَهَا، ثُمَّ جَرَّ جُثَّةَ التِّنِّينِ إِلَى بَعْضِ الْحُفَر، وَانْتَزَعَ أَلْسِنَةَ الرُّؤُوسِ الاثْنَيْ عَشَرَ وَخَبَّأَهَا فِي جَيْبِه.

وَلَمَّا عَادَ إِلَى مَكَانِه، كَانَتِ النَّارُ قَدْ خَمَدَت، وَلَمْ تَبْقَ فِيهَا جَمْرَةٌ وَاحِدَةٌ مُتَّقِدَة، فَفَكَّرَ فِي خَسَارَتِهِ لَوِ اسْتَيْقَظَ أَخَوَاه، وَرَأَيَا النَّارَ رَمَادًا فَوْقَ رَمَاد، فَعَزَمَ أَنْ يُوقِدَ النَّارَ بِأَيَّةِ وَسِيلَةٍ كَانَت.

فَصَعِدَ إِلَى قِمَّةِ شَجَرَةٍ عَالِيَة، وَأَدَارَ بَصَرَهُ فِي الْأُفُقِ



مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِه ، لَعَلَّهُ يَلْمَحُ ، وَلَوْ عَنْ بُعْد ، بَصِيصَ نُورٍ أَوْ لَهِيبَ نَار ، فِي تِلْكَ الْغَابَةِ الْوَاسِعَةِ الْمَسْحُورَة ، فَلَمْ يَلْمَحْ شَيْئًا لِأَوَّلِ وَهْلَة ، فَأَعَادَ النَّظَرَ ثَانِيَةً فِي عِنَايَةٍ وَتَدْقِيق ، فَلَمَحَ عَنْ يَمِينِهِ نُورًا ضَئِيلًا بَعِيدًا جِدًّا . فَارْتَاحَ بَعْدَ قَلَق ، وَقَالَ فِي نَفْسِه : « إِنَّ نَصِيبِي مِمَّا سَوْفَ نَكْسِبُهُ مِنْ هٰذِهِ الرِّحْلَة ، تُمْسِكُ بِهِ شَعْرَة ، فَعَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى ذٰلِكَ النُّورِ وَأَجْلُبَ مِنْهُ النَّار » .

فَنَزَلَ مِنَ الشَّجَرَة، وَمَشى فِى اتّجاهِ النُّورِ الْخَافِتِ، فقَابَلَ فِى طَرِيقِهِ اللَّيْل، فَسَأَلَهُ قَائِلاً :

– « مَنْ أَنْت ؟ »

فَقَالَ اللَّيْل :

– « أَنَا اللَّيْل.. »

فَقَالَ الشَّابّ :

– « كَمْ مِنَ الْوَقْتِ سَوْفَ تَسْتَمِرُّ بَعْدَ الآن ؟ »

فَقَالَ اللَّيْل :

– « لَنْ أَسْتَمِرَّ طَوِيلا، فَالْفَجْرُ سَوْفَ يَطْلُعُ قَرِيبًا ».

فَصَاحَ الشَّابّ :

– « يَا للدَّاهِيَة ! تَعَالَ مَعِى أَيُّهَا اللَّيْل ! فَأَنَا فِى حَاجَةٍ إِلَيْك ».

فغَافَلَهُ اللَّيْل، وَأَخَذَ يَجْرِى، فَتَحَيَّرَ الْفَتَى، وَكَانَ يَوَدُّ



أَنْ يَسْتَمِرَّ اللَّيْلُ نَاشِرًا سَوَادَهُ الْحَالِك ، حَتَّى يَتَمَكَّن ، مِنْ أَنْ يَقْتَبِسَ النَار ، مِنْ ذٰلِكَ الْمَكانِ الْمُضِىء ، وَيَذْهَبَ بِهَا إِلَى حَيْثُ يَنامُ أَخَوَاه ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَيقِظَا ، فَهَدَاهُ تَفْكِيرُهُ إِلَى أَنْ يَحُولَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَجَرَيَانِه ، فَتَنَاوَلَ قَوْسَه ، وَرَمَى اللَّيْلَ بِسَهْمٍ أَصَابَهُ فِى فَخِذِه ، فَعَادَتْ خُطُوَاتُهُ بَطِيئَةً كَمَنْ يَجُرُّ نَفْسَهُ جَرًّا .

وَفجْأَة ، بَدَأَ اللَّيْلُ يَتَنَهَّدُ وَيَقُول : « وَا أَسَفَاه ! وَا أَسَفَاه ! وَا أَسَفَاه ! » فَقَالَ لَهُ الشَّابُّ مُتَسَائِلاً :

— « مَاذَا بِك ؟ »

فَقَالَ اللَّيْل :

— « إِنَّ الْفَجْرَ سَيَطْلُعُ بَعْدَ قَلِيلٍ وَسَيَطْرُدُنِى » .

وَنَظَرَ الْفَتَى إِلَى السَّمَاء ، مِنْ خِلَالِ الْأَشْجَار ، فَرَأَى الْخُيُوطَ الْبِيضَ قَدْ بَدَأَتْ تُفَضِّضُهَا ، فَأَمْسَكَ بِقَوْسِه ، وَرَمَى

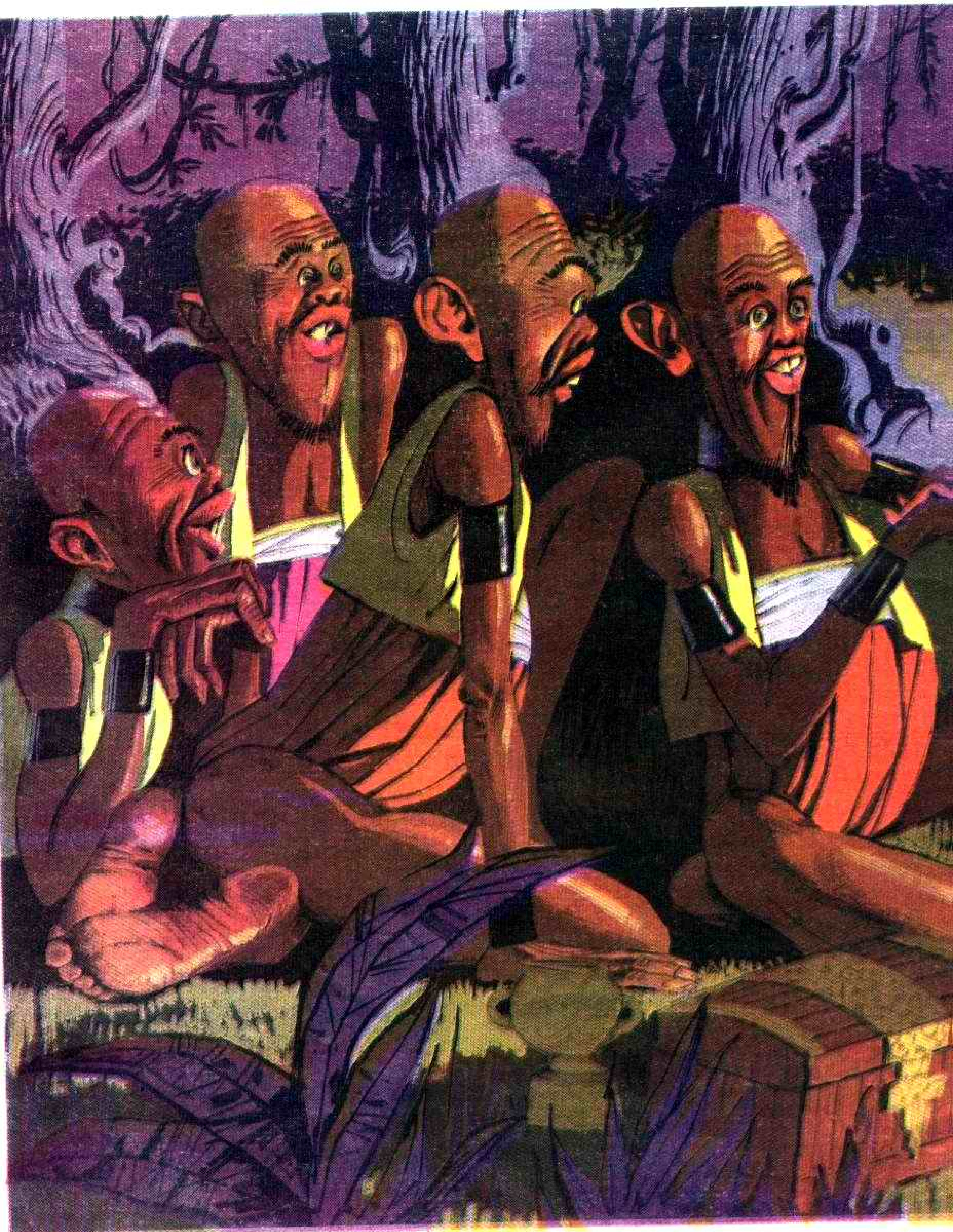
الْفَجْرَ بِسَهْمٍ أَصَابَهُ كَذٰلِكَ فِي فَخِذِهِ ، فَتَوَقَّفَ الْفَجْرُ فِي الْحَالِ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّابُّ وَقَالَ لَه :

– «ابْقَ مَكَانَكَ فَإِصَابَتُكَ لَنْ تَسْمَحَ لَكَ بِالسَّيْرِ، فَأَنْتَ وَاللَّيْلُ الْآنَ فِي خِدْمَتِي» .

وَمَا إِنْ قَالَ هٰذِهِ الْكَلِمات ، حَتَّى رَبَطَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ إِلَى شَجَرَةٍ عَظِيمَة، وَخَصَّ كُلاًّ مِنْهُما بِجَانِبٍ مِنْ جَوانِبِها؛ وَغَرَضُهُ أَنْ يَبْقَيا مَرْبُوطَيْن ، إِلَى أَنْ يُتِمَّ مُهِمَّتَه ، ثُمَّ تَابَعَ سَيْرَهُ فِي ظَلَامِ اللَّيْل ، وَوَصَلَ بَعْدَ قَلِيلٍ إِلَى غَايَتِه، فَشَاهَدَ نَارًا يَسْتَعِرُ فِيها الْجَمْرُ ، وَرَأَى مِنْ حَوْلِها اثْنَيْ عَشَرَ عِمْلَاقًا ، كَانُوا قَدْ فَرَغُوا مِنْ عَشَائِهِم ، وَكَانَ الْعِمْلَاقُ الثَّانِي عَشَرَ مِنْهُم ، يَكَادُ يَنْتَهِي مِنْ كَأْسِ شَرَابٍ يَبْتَلِعُهُ ابْتِلَاعًا .

فَضَحِكَ الْأَخُ الْأَصْغَرُ فِي سِرِّه ، وَشَدَّ قَوْسَه ، وَسَدَّدَ





السَّهْمَ إِلَى كَأْسِ الْعِمْلاقِ، وَكانَتْ مِنَ الْفِضَّةِ ، فَانْتَزَعَها مِنْ يَدَيْه ، وَخَدَشَ لَهُ أَنْفَهُ خَدشًا صَغِيرًا.

فَنَهَضَ الْعَمالِقَةُ عَلَى الْأَثَرِ مَدْهُوشِين ، وَتَساءَلُوا مَنْ يَكُونُ هٰذَا الرَّامِي ؟ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ سِوَاهُم يَسْكُنُ تِلْكَ الْغَابَة ، فَفَكَّرُوا ، وَهَمُّوا بِالانْطِلاَق ، وَرَاءَ ذٰلِكَ الْمَجْهُول، لِيُمْسِكُوا بِهِ وَيَعْرِفُوه ، وَلٰكِنْ أَغْنَاهُمُ الْأَخُ الْأَصْغَرُ عَنْ مُهِمَّتِهِم ، حِينَمَا رَأَوْهُ يَقْتَرِبُ مِنْهُم ، وَيُقَدِّمُ إِلَيْهِمْ نَفْسَهُ قَائِلاً :

— « إِذا شِئْتُمْ أَنْ تَرَوْنِي، يا قَوْمُ ! فَهَا أَنا ذا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ .. »

فَقَالُوا لَه :

— « أَأَنْتَ الرَّامِي الَّذِي سَدَّدَ سَهْمَهُ إِلَى هٰذِهِ الْكَأْس، فَأَسْقَطَهَا مِنْ كَفِّ شَارِبِها ؟ » ..

فَقَالَ الْأَخُ الْأَصْغَر :

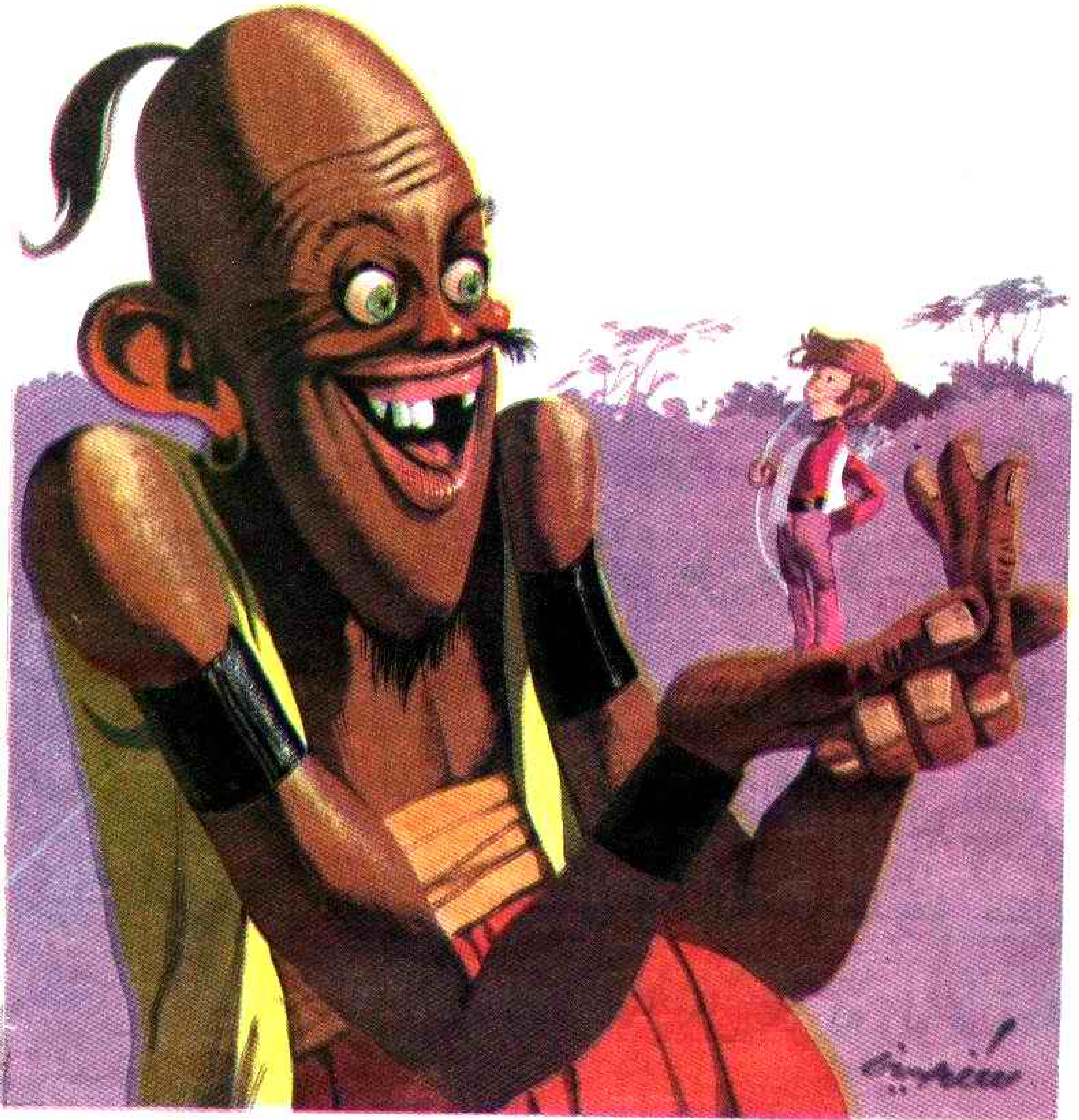
« نعَمْ أَنَا هُوَ ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ سِوَاى يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ ذلك ، وهذه هِيَ قَوْسِى ، فَانْظُرُوا إِلَيْهَا وَتمعَنُوا فِيها » .

فقالُوا له :

«لوْ صحَّ أنَّكَ أَنْتَ الَّذِي رَمَيْتَ السَّهْم، لَغفرْنَا لَكَ جرأتَك، وعَفوْنَا عَنْك . فَأَنْتَ مَنْ نَنْشُدُهُ مُنْذُ زمنٍ طَوِيل »

ثُمَّ جَعَلُوهُ يُقْسِمُ لَهُمْ أَنَّهُ لَنْ يُفارِقَهُم، وَكَشَفُوا لَهُ السِّرَّ الَّذى وراءَ هٰذِهِ الرَّغْبَة ، ذٰلِكَ أَنَّ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهُم قصْرًا مَسْحُورًا ، مَمْلُوءًا بِأَكْوَامِ الذَّهَب ، وَأَنَّهُمْ يَشْتَرُون ذٰلِكَ الكنْزَ بِأَرْوَاحِهِمْ، لَوِ اسْتَطَاعُوا إِلَيْهِ سَبِيلاً ، فَفِي الْقَصْرِ كلْبٌ أسْوَد ، حَادُّ السَّمْع ، يَتنَقَّلُ بَيْنَ أَنْحَاء الْحَدِيقَةِ حِيناً ، وَيَعْتَلِي الْأَسْوَارَ حِيناً آخَر، وَيُنْصِتُ لِكُلِّ حَرَكَةٍ وَلَوْ بَعِيدَة ؛

فَإِذَا سَمِعَ مَا يُرِيبُه ، أَخَذَ يَنْبَحُ نُبَاحًا شَدِيدًا مُتَوَاصِلاً ، يَصْحُوا لَهُ سُكَّانُ الْقَصْرِ ، وَلَوْ كَانُوا عَارِقِينَ فِي النَّوْمِ ... وَالأَدْهَى مِنْ هَذَا أَنَّ هَؤُلاَءِ الْعَمَالِقَة ، كَانَ فِي اسْتِطَاعَتِهِمْ



أَنْ يَتَغَلَّبُوا عَلَى جَمِيعِ سُكَّانِ الْقَصْرِ ، وَلٰـكِنْ لَمْ يَكُنْ لِهٰذَا الْقَصْرِ الْمَسْحُورِ بَابٌ وَلاَ نَافِذَة ، يَدْخُلُونَ مِنْهُمَا إِلَيْه ، إِلاَّ فُتْحَةً صَغِيرَةً فِي وَسَطِ الْحَائِط ، تُرْمَى مِنْهَا الْأَوْسَاخُ وَالْقَاذُورَات .

وَمَا كَانَ يَقْدِرُ أَيُّ عِمْلَاقٍ مِنْهُم ، أَنْ يَنْفُذَ مِنْهَا إِلَى الْقَصْر ، إِلاَّ بِصُعُوبَة ، فَضْلاً عَنْ أَنَّ نُبَاحَ الْكَلْبِ الصَّغِير ، كَانَ كَفِيلاً أَنْ يُؤَلِّبَ عَلَيْهِ سُكَّانَ الْقَصْرِ جَمِيعًا . . .

فَرَتَّبُوا أَمْرَهُمْ وَقَالُوا لِلْأَخِ الْأَصْغَر :

– « تَرْمِي أَوَّلاً الْكَلْبَ الْأَسْوَدَ الصَّغِير ، بِسَهْمٍ مِنْ قَوْسِكَ فَتَقْتُلُه ، ثُمَّ نَرْفَعُكَ إِلَى الْفُتْحَة ، فَتَنْزَلِقُ مِنْهَا إِلَى الدَّاخِل . . .

وَسَوْفَ يَكُونُ جَمِيعُ أَهْلِ الْقَصْرِ نَائِمِين ، فَلَنْ يُوقِظَهُمُ الْكَلْبُ الصَّغِيرُ بِنُبَاحِه ، بَعْدَ أَنْ يُسْكِتَهُ سَهْمُكَ إِلَى

الْأَبَد . . . فتَدْخلُ الْقَصْرَ إِذَنْ ، وتَزُورُ غُرَفَهُ وَخَفَايَاه ، ثُمَّ ترْجِعُ إِلَيْنَا وتَرْوِى لَنَا مَا شَاهَدْت ، وتُعِينُنَا عَلَى أَنْ نَدْخلَ الْقَصْرَ وَاحِدًا بعْد وَاحِد ، مِنَ الْفُتْحَةِ الصَّغِيرَة » .

وَتَمَّ الاتِّفَاقُ بينَهُم ، عَلَى مَا رَتَّبُوا وَقَرَّرُوا ، فَبَدَأَ الْأَخُ الْأَصْغَر ، وَهُوَ صَيَّادٌ مَاهِر ، بِأَنْ رَمَى الْكَلْبَ بِسَهْمٍ أَصَابَهُ فِى شِدْقِه* ، عِنْدَمَا فتَحَهُ لِلنُّبَاح ، ثُمَّ تقَدَّمَ أَحَدُ هَؤُلَاءِ الْعَمَالِقَة ، فَرَفَعَ الْأَخَ الْأَصْغَرَ إِلَى الْفُتْحَة ، كَمَا لَوْ كَانَ يَرْفَعُ جوْزَةً صَغِيرة ، فَانْزَلَقَ مِنْهَا ، وَهُوَ نَحِيلٌ جِدًّا ، فِى سهُولَةٍ كَبِيرَةٍ إِلَى الدَّاخِل .

وَلَمَّا استَقَرَّ بِهِ الْمُقَام ، زَارَ كُلَّ غُرَفِ الْقَصْرِ وَزَوَايَاه فَرَأَى – كَما قِيلَ لَه – أَكْوَامًا مِنَ الذَّهَب ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَمَسَّهَا ، وَكَانَ هَدَفُهُ الْأَكْبَر ، أَنْ يَعْرِفَ هَلْ فِى

---

* الشدق : فم الحيوان .

الْقَصْرِ أُنَاسٌ أَحْيَاءٌ يُرْزَقُون ؟ حَتَّى يَسْتَطِيعَ أَنْ يُنقِذَهُمْ مِنْ شَرِّ الْعَمَالِقَة ، فَاسْتَمَرَّ يَطُوفُ طَوِيلًا بِأَرْجَاء الْقَصْر ، فَلَمْ يَقَعْ بَصَرُهُ عَلَى أَحَد ، فَوَصَلَ بَعْدَ قَلِيلٍ إِلَى حُجْرَةٍ مِنَ الْحُجُرَات ، كَانَتْ تَنَامُ فِيهَا سِتُّ شَغَّالات ، فَتَرَكَهَا فِي هُدُوء ، وَدَخَلَ حُجْرَةً أُخْرَى كَانَتْ تَنَامُ فِيهَا سِتُّ وَصِيفَات ، فَعَبَرَ مِنْهَا إِلَى حُجْرَةٍ ثَالِثَة ، كَانَتْ أَنِيقَةً عَظِيمَة ، فَرَأَى فِي وَسَطِهَا مِنْضَدَةً مِنْ ذَهَب ؛ عَلَيْهَا كَأْسٌ مَمْلُوءَةٌ بِشَرَاب الْوَرْد ، وَبِإِزَاء الْمِنْضَدَةِ سَرِيرٌ مِنْ ذَهَب ، نَامَتْ فِيهِ فَتَاةٌ جَمِيلَة ، وَفَوْقَ السَّرِير ، سَيْفٌ مِنْ ذَهَب ، مُعَلَّقٌ عَلَى الْحَائِط .

فَلَفَتَ السَّيْفُ نَظَرَهُ أَوَّلاً ، فَأَرَادَ أَنْ يُنْزِلَهُ مِنْ مَكَانِه ، وَيَسْتَوْلِيَ عَلَيْه ، غَيْرَ أَنَّه لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُحَرِّكَه .

وَحَاوَلَ مَرَّةً ثَانِيَة ، وَلٰكِنْ ذَهَبَ جَهْدُهُ عَبَثًا .

وَلَمحَ الْكَأْسَ الْمَمْلُوءَة بِشَرَابِ الْوَرْدِ فقَال :

— « مَاذَا لَوْ شَرِبْتُهُ وَاستَعدْتُ قُوَّتِى وَنشَاطِى ؟ »

فَأَمسَكَ بِالْكَأْس ، وَأَفْرَغَ مَا فِيها فِى جوْفه ، فَخُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّ قُوَّةَ مائَةِ رَجُلٍ قَدْ تجَمَّعتْ فِيهِ ، فَسَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْحائِط ، فَرَفَعَ مِنْهُ السَّيْف ، كَأَنَّهُ يَرْفَعُ رِيشَة ، وَتقَلَّده ، فَسُرَّ سُرُورًا لاَ يُوصَفُ ، وَقَالَ فِى نَفْسِه :

— « حَسَنٌ جِدًّا ، والآنَ عَلَيْنا أَنْ نَبْدَأَ الْعَمل » .

فَعادَ فِى هُدُوء وحَذَر ، إِلَى الْفُتْحَةِ الَّتِى يَنْتَظِرُهُ عِنْدَهَا الْعَمالِقَة ، فقَالَ لَهُمْ :

— « كُلُّ شَىْءٍ عَلَى مَا وَصَفْتُمْ ، فَالذَّهَبُ أَكْوَام ، وَالْقَوْمُ نِيام ، فتَعَالَوْا وخُذُوا مِنْهُ مَا شِئْتُم » .

فَدخَلَ الْعَمالِقَةُ الْقَصر ، مِنَ الْفُتْحَةِ الصَّغِيرَة ، ولٰكِنْ مَا كَادَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَصِلُ إِلَى الْجَانِبِ الثَّانِى مِنَ الْفُتْحَة ،



حَتَّى كانَ الشَّابُّ قَدْ أَهْوَى عَلَيْهِ بِالسَّيْف، وضَرَبَ عُنُقَهُ فِي سُهُولَةٍ مَا بَعْدَهَا سُهُولَة .

وَمَا هُوَ أَنْ يَسْقُطَ رَأْسُ آخِرِ عِمْلَاقٍ مِنْهُم، حَتَّى رَجَعَتِ الْحَيَاةُ تَدِبُّ فِي الْقَصْر ، كَمَا لَوْ صَحَا مِنَ الرُّقَادِ أَلْفُ رَجُلٍ مَعًا ...

وَعَلَا الضَّجِيجُ والصُّرَاخ ، وارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ تَتَسَاءَلُ قَائِلَة :

– « مَنْ جَاءَ إِلَى هُنَا ؟ ومَنْ شَرِبَ شَرَابَ الْوَرْد ؟ ومَنْ أَخَذَ السَّيْف ؟ »

وَكَانَ الْوَقْتُ أَمَامَ فَتَانَا ، أَضْيَقَ مِنْ أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِالْهَرَب ، لَوْ شَاءَ الْهَرب .

وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْنَا كَذٰلِك ، لِمَاذَا كَانَ الشَّابُّ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِه ، فَشُرُوطُ الاتِّفَاقِ الْمَعْقُودِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخَوَيْه ،

كانَتْ تدْعُوهُ إِلَى التَّعْجِيلِ فِى الْعَوْدَة ، فَهَرَبَ مِنَ الْفُتْحَة ، وَجَرَى إِلَى حَيْثُ كانَ الْعَمالِقَةُ قَدْ أَوْقَدُوا النَّار ، فَاخْتَطَفَ مِنْهَا قِطْعَةَ حَطَب ، كانَتْ تَشْتَعِلُ مِنْ أَحَدِ جَانِبَيْهَا ، وسَارَعَ إِلَى مُتَابَعَةِ طَرِيقِه .

بَلَغَ فِى سُرَاه* ، إِلَى الْمَكانِ الَّذِى رَبَطَ فِيهِ اللَّيْلَ والْفَجْر ، فَأَخَذَ الاثْنان يَسُبَّانِه ، ويُسْمِعَانِه قَارِصَ الْكَلَام ، ويَصِيحَانِ فِى وَجْهِهِ قَائِلَيْن :

— « أَيْنَ كُنْتَ طُولَ هٰذِهِ الْمُدَّة ؟ وأَيْنَ كُنْتَ مُخْتَبِئًا ؟ أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ نِظَامَ الْحَياةِ سَيَضْطَرِبُ كُلَّ الاضْطِرَاب ، إِذَا بَقِيَا عَلَى هٰذِهِ الْحَال ؟ »

فَقَالَ لَهُمَا :

— « صَبْرًا يَا سَجِينَيَّ . ولا تُصِمَّا أُذُنَيَّ بِمِثْلِ هٰذَا الْكَلَام ،

---

* السرى : السير فى الليل .

فَلَسَوْفَ أُعِيدُ كُلَّ شَىْء إِلَى نِصَابِه » .

فَفَكَّ أَرْبِطَتَهُمَا ، وَابْتَعَدَ اللَّيْلُ فِى الاتِّجَاهِ الْمَرْسُومِ لَهُ ، وَسَلَكَ الْفَجْرُ الاتِّجَاهَ الْمُضَادَّ ، فَصَاحَ فِيهِمَا وَقَالَ مُهَدِّدًا :



– « اِذْهَبَا مِنْ هُنَا وَلاَ تَلُوحَا مَرَّةً أُخْرَى لِعَيْنَىَّ » .

وَتَبِعَ اللَّيْلَ الَّذِى كَانَ يَجْرِى بِأَقْصَى سُرْعَةٍ ، فَبَلَغَ النَّارَ الْخَامِدَةَ عِنْدَ أَخَوَيْه ، وَكَانَ الْفَجْرُ قَدِ اتَّسَعَتْ رُقْعَتُه ، وَأَخَوَاهُ مَا زَالاَ يَغِطَّانِ فِى النَّوْمِ ، فَأَشْعَلَ النَّارَ الَّتِى خَمَدَتْ ، فَارْتَفَعَتْ أَلْسِنَةُ اللَّهَبِ فِى الْفَضَاء ، وَاسْتَيْقَظَ بَعْدَ

قَلِيلٍ أَخَوَاهُ وهُمَا يَقُولاَن :

– «لَقَدْ كانَتْ لَيْلَتُنَا ، أَيُّها الشَّقِيقُ الْعزِيز! طَوِيلَةً طَوِيلَةً عَلَى غيْرِ الْعَادَة » .

فَقَالَ لَهُمَا :

– «كانَتْ أَطْوَلَ لِي . . .»

وَلَمْ يَزِدْ حرْفًا عَلَى مَا قَال، حَتَّى لاَ يُخِلَّ بِالْعَقْدِ الْمُبْرَم بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخَوَيْه ، غيْرَ أَنَّ هٰذَيْنِ الْأَخوَيْن ، كانَتْ تُحَدِّثُهُما النَّفْسُ عَنْ أَمْرٍ خَفِيٍّ جَرَى فِي اللَّيْل ، وَوَثِقَا مِنْ ذٰلِكَ عَلَى الْأَخَصّ ، عِنْـدَمَا رَأَيَا السَّيْفَ يَتَدَلَّى إِلَى جَانِبِ شَقِيقِهِمَا .

ثُمَّ اسْتَطَاعَ الْأَشِقَّاءُ الثَّلاثَةُ الْخُرُوجَ مِنَ الْغَابَة ، وَاتَّفَقُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا طَرِيقَ الْعَوْدَة ، مُبْتَعِدِينَ عَنْ كُلِّ مُغامَرَة .

فَلاَحَظَ الْأَخُ الْأَصْغَر ، أَنَّ أَخَوَيْهِ يُسْرِعَان فِي الْخُطَى ، وَيَوَدَّانِ لَوْ بَلَغَا الْمَنزِلَ فِي أَقْرَب فُرْصَة ، وَكَانَ غَرَضُ كُلٍّ مِنْهُمَا ، أَنْ يُقَدِّمَ الدَّلِيلَ عَلَى مَهَارَتِه ، بِمَا يَحْوِيهِ جَيْبُهُ مِنْ أَلْسِنَةِ التِّنِّينِ الَّذِى قَتَلَه ، فَسَكَتَ الْأَخُ الْأَصْغَرُ وَلَمْ يَتَكَلَّم . . .

وَحَدَّثْ عَنْ فَرْحَتِهِمْ وَلاَ حَرَجَ ، عِنْدَمَا وَصَلُوا فِي سَيْرِهِمْ إِلَى الْفُنْدُقِ الَّذِى دَخَلُوهُ فِي بَدْءِ رِحْلَتِهِمْ ، فَقَالَ الْأَخَوَان الْأَكْبَرَان :

— « هَيَّا نَدْخُلُهُ هٰذِهِ الْمَرَّة أَيْضًا » .

فَقَالَ الْأَخُ الْأَصْغَر :

— « وَلِمَ لا ، فَهُوَ فُنْدُقٌ يُرَحِّبُ بِزَائِرِيهِ أَجْمَلَ تَرْحِيب ، وَيُقَدِّمُ لَهُمُ الطَّعَامَ مَجَّانًا ، نُزُولا عِنْدَ رَغْبَةِ جَلاَلَةِ الْمَلِك » .

أَكَلَ الْإِخْوَةُ الثَّلاثَةُ هَنِيئًا، وَشَرِبُوا مَرِيئًا، وَاسْتَرَاحُوا مِنْ تَعَبِ السَّفَرِ، وَهَمَّ كُلٌّ مِنْهُمْ أَنْ يَبْدَأَ الْحَدِيث، بَعْدَ أَنْ أَدَارَهُ فِي ذِهْنِهِ مِرَارًا وَتِكْرَارًا، فَتَكَلَّمَ أَكْبَرُهُمْ وَقَال:

— «الْوَاقِعُ أَنَّنِي فِي هٰذِهِ الرِّحْلَةِ، لَمْ أُضَيِّعْ وَقْتِي سُدًى، فَلَمَّا كُنْتُ مُتَوَلِّيًا الْحِرَاسَةَ، فِي اللَّيْلَةِ الأُولَى مِنْ وُصُولِنَا إِلَى تِلْكَ الْغَابَةِ الْمَسْحُورَة، فَاجَأَنِي تِنِّينٌ بِثَلاثَةِ رُؤُوس، فَمَاذَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَعَلْت؟ لَمْ أَخْرُجْ عَنْ صَمْتِي، تَنْفِيذًا لِلاتِّفَاقِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا، وَإِنَّمَا جَرَّدْتُ سَيْفِي، وَضَرَبْتُ التِّنِّينَ ضَرْبَةً أَطَاحَتْ بِرُؤُوسِهِ الثَّلاثَة، وَهَا هِيَ ذِي أَلْسِنَتُهُ الثَّلاثَة».

وَأَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ الْأَلْسِنَةَ الثَّلاثَة، وَوَضَعَهَا عَلَى الْمَائِدَة.

فقَالَ الثَّانِى :

– « أثلاثَةُ أَلْسِنَةٍ فقَط ؟ أنَا عِنْدِى سِتَّةُ أَلْسِنَة ، فالتِّنِّينُ الَّذِى هَاجَمَنِى ، كانَ بِسِتَّةِ رُؤُوس » .

وَأَخْرَجَ الْأَلْسِنَةَ السِّتَّة ، ووضَعَها عَلَى الْمَائِدَة .

فقَالَ الْأَخُ الْأَصْغَر :

– « غفَرَ اللّهُ لَكُمَا ، لَقَدْ تعَاهَدْنَا عَلَى أَلاَّ نَتَكَلَّمْ ، فَلْيَكُنْ عَهْدُنَا إِذَنْ مُلْغًى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ ، واسْمَعَا مَا سَأَقُصُّهُ عَلَيْكُمَا . . . أُنْظُرَا أَوَّلاً إِلَى هٰذِهِ الْأَلْسِنَةِ الاِثْنَىْ عَشر . وَأَخْرَجَهَا مِنْ جَيْبِه ، ووضَعَهَا عَلَى الْمَائِدَة ، فَالتِّنِّينُ الَّذِى هَاجَمَنِى ، كانَ بِاثْنَىْ عَشر رَأْسًا ، ثُمَّ انْظُرَا إِلَى هٰذَا السَّيْفِ الثَّمِين » .

وجَرَّدَ السَّيْفَ مِنْ غِمْدِه ، ولَوَّحَ بِهِ فِى الْفَضَاء .

فَسَأَلَهُ أَخَوَاه :



– « كَيْفَ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَحْصُلَ عَلَى هٰذَا السَّيْف ؟ »

فَقَالَ الْأَخُ الْأَصْغَر :

– « لَقَدْ حَدَثَ لِي ، مَا حَدَثَ لَكُمَا مِنْ مُهاجَمَةِ التِّنِّين لِكُلٍّ مِنَّا . . . أَمَّا هٰذَا السَّيْف ، فَلَهُ قِصَّةٌ طَوِيلَة » .

ثُمَّ أَخَذَ يَقُصُّ عَلَيْهِمَا ، حَوَادِثَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي بَدَتْ لَهُمَا طَوِيلَة ، كَمَا بَدَتْ لَهُ كَذٰلك .

فَلَمْ يَكَدْ يُتِمُّ قِصَّتَه ، حَتَّى وَقَفَتْ عِدَّةُ مَرْكَباتٍ مَلَكِيَّةٍ مُطَعَّمَةٍ بِالذَّهَب ، عِنْدَ بَابِ الْفُنْدُق ، وكَانَ يَسْتَقِلُّ الْأُولَى الْمَلِكُ وَابْنَتُه ، وَتَسْتَقِلُّ الْحَاشِيَةُ بَقِيَّةَ الْمَرْكَبَات ، فَتَسَاءَلَ الشُّبَّانُ الثَّلَاثَةُ قَائِلِين ، وَهُمْ يَتَطَلَّعُونَ إِلَى مُدِيرِ الْفُنْدُق :

– « مَاذَا جَرَى ؟ »

فَلَزِمَ مُدِيرُ الْفُنْدُقِ الصَّمْت ولَمْ يُجِب ، وكَانَ قَدْ

صَدَرَتْ إِلَيْهِ الأَوَامِر ، بِأَنْ يُبَلِّغَ الْمَلِكَ حَالَمَا يَصِلُ إِلَى الْفُنْدُق ، مُسَافِرٌ يَتَقَلَّدُ سَيْفًا مِنْ ذَهَب ، فَلَمَّا رَأَى الإِخْوَةَ الثَّلاثَةَ يَدْخُلُونَ الْفُنْدُق ، أَذْعَنَ لِلأَمْر ، وأَرْسَلَ إِلَى الْقَصْرِ الْمَلَكِيّ ، رَسُولاً يُخْبِرُهُ بِوُصُول الْمُسَافِرِ الْمُنْتَظَر .

وَرَمَى الأَخُ الأَصْغَرُ بِنَظْرَةٍ سَرِيعَةٍ إِلَى الأَمِيرَة ، فَعَرَفَ فِيهَا الْفَتَاةَ الَّتِي كانَتْ نَائِمَةً تَحْتَ السَّيْف ، فَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ الدَّهْشَة ، وعَجَزَ عَنْ تَفْسِيرِ مَا تُسَائِلُهُ بِهِ نَفْسُه ، وتَقُولُ لَه :

— « كَيْفَ جَاءَتْ تِلْكَ الْفَتَاةُ إِلَى هُنَا فِي صُحْبَةِ الْمَلِك ؟ »

دَخَلَ الْمَلِكُ الْفُنْدُق ، واتَّجَهَ إِلَى الأَخِ الأَصْغَر ، وسَأَلَهُ فِي لَهْجَةٍ حَازِمَةٍ صَادِقَة :

— « هَلْ أَنْتَ الْفَتَى الَّذِي لَوَّحَ مُنْذُ قَلِيلٍ بِهٰذَا السَّيْفِ

فِى الْهَوَاء ؟ . . . أَصْدِقْنِى الْقَوْل ، فَقَدْ رَأَيْتُهُ يَلْمَعُ فِى الْفَضَاء وَأَنَا فِى الْقَصْر » .

فَقَال الْفَتَى بِشَجَاعَةٍ وصِدْق :

— « نَعَمْ أَنَا هُو يَا صَاحِبَ الْجَلالَة ! وَهَا هُوَ ذَا السَّيْف » .

فَقَال الْمَلِك :

— « وَلٰكِنْ كَيْفَ اسْتَطَعْتَ الْحُصُولَ عَلَى هٰذَا السَّيْف ؟ »

فَقَالَ الْأَخُ الْأَصْغَر :

— « بِالطَّرِيقَةِ الَّتِى سَأَرْوِيهَا لَكُمْ يَا صَاحِبَ الْجَلالَة » .

وَسَرَدَ الشَّابُّ الصَّغِيرُ قِصَّتَهُ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِك :

— « إِنَّ كَلَامَكَ يُطَابِقُ تَمَامَ الْمُطَابَقَةِ مَاحَدَث، وَلٰكِنَّنِى أُرِيدُ أَنْ أَثِقَ مِنْ أَنَّكَ بَطَلُ هٰذِهِ الْقِصَّة ، وَأَنَّكَ لَمْ تَغْتَصِبْ هٰذَا السَّيْفَ مِنْ صَاحِبِهِ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ شَرِيفَة . . .



وَلٰـكِنْ سَنَرَى ذٰلِكَ فِى الْحَالِ ... »

وَأَطْرَقَ الْمَلِكُ قَلِيلًا وَهُوَ يُفَكِّرُ . ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ :

— « إِنَّ الَّذِى تَمَلَّكَ هٰذَا السَّيْفَ ، وَدَخَلَ الْقَصْرَ ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَمْهَرِ رُمَاةِ السِّهَامِ ، فَقَدْ أَصَابَ الْكَلْبَ لَيْلاً فِى شِدْقِهِ ، فَتَعَالَ بَرْهِنْ عَلَى أَقْوَالِكَ » .

فَقَالَ الْفَتَى فِى نَفْسِهِ :

— « لَوْ سَأَلَنِى الْمَلِكُ الْبُرْهَانَ عَلَى حُسْنِ رِمَايَتِى ، لَسَهُلَ عَلَىَّ الْأَمْرُ ، وَلٰـكِنْ لَوْ سَأَلَنِى الْبُرْهَانَ عَلَى صِدْقِ رِوَايَتِى ، فَمِنْ أَيْنَ أَجِىءُ بِالدَّلِيلِ الْقَاطِعِ ؟ »

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ :

— « لَوْ نَجَحْتَ أَنْ تُسْقِطَ الْكُرَةَ الذَّهَبِيَّةَ ، مِنْ قِمَّةِ بُرْجِ قَصْرِى ، بِسَهْمٍ وَاحِدٍ مِنْ قَوْسِكَ ، كُنْتَ أَنْتَ الرَّجُلَ الَّذِى

نَبْحَثُ عَنْه » .

فَتبَسَّمَ الْأَخُ الْأَصْغَر ، وزَالَ اضطِرَابُهُ وقَال:

— « سَمْعًا وَطَاعَةً يا موْلَاى » .

وَخَرَجَ الْقَوْمُ مِنَ الْفُنْدُق ، وَانتَظَرُوا الدَّلِيلَ عَلَى صِدْق الْفَتَى .

وَلَمَّا أَصْبَحَ الْقَوْمُ خَارِجَ الْفُنْدُق أَخذَ صيَّادُنَا الْمَاهِر قَوْسَهُ وَسِهَامَهُ فِى هُدُوء وَاطْمِئْنَان، وَانطَلَقَ مِنَ الْقَوْس، سَهْمٌ يَخْتَرِقُ الْفَضَاء ، وَيَصْفِرُ فِيهِ صَفِيرًا شَدِيدًا ، فَمَا هِىَ إلاَّ لَحْظَةٌ سَرِيعَة ، حَتَّى كانَتِ الْكُرَةُ الذَّهَبِيَّة ، قَدْ غَابَتْ عَنْ قِمَّةِ بُرْجِ الْقَصْرِ الْمَلَكِىّ .

فَصَفَّقَ لَهُ الْحَاضِرُونَ تَصْفِيقًا طَوِيلاً ، وَأَقْبَلَ الْمَلِكُ عَلَى الْفَتَى ، فَحَيَّاهُ تَحِيَّةً جَمِيلَة ، وَأَمْسَكَ بِيَدِه وَقَال :

— « إنَّ هٰذَا الْفَتَى، يَا أَصْحَابِى ؛ هُوَ مُنقِذُ ابْنَتِى مِنَ السِّحْرِ

الَّذِى كانَتْ مَرْبُوطَةً بِهِ ، وَسَيَكُونُ مُنْذُ الْيَوْم، ابْنِي وَزَوْجَ وَحِيدَتِي » .

ثُمَّ بَارَكَ الْمَلِكُ الْعَرُوسَيْن ، وَأَهْدَى لَهُمَا نِصْفَ مَمْلَكَتِهِ وَكَذلِكَ الْقَصْرَ الَّذِى كانَ – حَتَّى تِلْكَ اللَّحْظَةَ – مَسْحُورًا ، وَفُكَّ عَنْهُ السِّحْرُ ، بِشَجَاعَةِ الشَّابِّ الصَّغِيرِ .

أسئلة فى القصة

(١) كيف كان كل من الإخوة الثلاثة يقضى وقته ؟
(٢) ماذا رأى الأخ الأصغر فى منامه ؟
(٣) إلى أين وصل المسافرون الثلاثة أولا ؟
(٤) ما الاتفاق الذى أبرموه فيما بينهم ، بعد وصولهم إلى الغابة وهبوط الليل ؟
(٥) ماذا حدث لكل من الإخوة الثلاثة فى أثناء حراسته ؟
(٦) ماذا فعل الأخ الأصغر عندما خمدت النار ؟
(٧) من لقى فى طريقه ؟
(٨) ماذا فعل الأخ الأصغر بالليل ثم بالفجر ؟ ولماذا ؟
(٩) كم عدد العمالقة الذين رآهم الأخ الأصغر ؟ وماذا كانوا يفعلون ؟
(١٠) ما الحديث الذى جرى بين الأخ الأصغر والعمالقة ؟
(١١) ما السر الذى أفضى به العمالقة إلى الأخ الأصغر ؟
(١٢) أية خطة أوصوه بها !